Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنه أشياء، فإنه أخطأ في قوله: «أنملة» وأي مقدار للأنملة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل؟ وأصاب في المناسبة بين ذكر الأنملة والقلامة وتشبيهها بالهلال»[1].

وليت شعري كيف جال بخاطر ابن الأثير أن القاضي الفاضل يريد تشبيه الحصن بالأنملة في المقدار؟ ولو تدبر لعلم أن مراده من التشبيه بيان الهيئة، ولن يكون الحصن في جرم الأنملة إلا إذا كان فوق رابية عالية ذاهباً في السماء، وذلك أدعى لمنعته واستحكامه، وتلك أراد... أرأيت الى قوله (نجم في سحاب، وعقاب في عقاب)؟ وكلا التشبيهين يرميان إلى علو المنزل والمنزلة.

طريقته:

جمعت طريقة القاضي الفاضل بين محاسن الكتابة في المشرق والمغرب، ولا شك أن طريقة ابن العميد كانت حجر الزاوية في سجعه وتجنيسه ومقابلته، ثم زاد عليها ألواناً أخرى من صور البديع، كالتوجيه، والاستخدام، ومراعاة النظير، وغالى في التورية والجناس، كما أسرف في الاقتباس، وحل أبيات الشعر، وتضمين رسائله الأمثال السائرة، والأقوال المأثورة، ومصطلحات العلوم، حتى أصبحت معرضاً لأفانين البلاغة، مثله كمثل صورة زيتية مزدحمة الألوان تخطف البصر ببريقها وتأسر القلب بفنها وجمالها فلما أسرف في ذلك من أسرف وتكلف، شاهت الصورة، وتعقدت وصارت تكد الذهن بمناظرها المتلاحقة، بل صارت ـ كما يقولون[2] ـ «قشورا لماعة براقة على لب رث اعجق، وإنتهكت حرمة المعاني، فصارت خدماً ذليلة لألفاظ، وكأنما كانت طريقة ابن خلدون، بأسلوبها المعنوي المرسل، رد الفعل المباشر لهذه الصناعة اللفظية أو الطريقة الفاضلية، تلك الطريقة التي فتن بها الناس حيناً من الدهر: فمن كان على حظ وافر من مفردات اللغة مع صفاء الطبع، وحضور

---

(١) المثل السائر ١٥٦

(٢) فن الاسجاع جـ ١/١٣١.